

المساجد

١٣١٥

﴿ صر في يوم السبت ١٠ شوال سنة ١٣١٧ * ١٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٠ ﴾

﴿ طفولية الأمة . وما فيها من الحيرة والنعمة ﴾

لاهم للطفل في أول عهده بالوجود الا ارضاء شهوة البطن يساق اليه الغذاء فيلهم تناوله الهاماً ثم يعطى التمييز بالحواس الظاهرة ثم بالحواس الباطنة يكون فيه أولاً ضعيفاً ثم يقوى بالاستعمال تدريجاً . يطلب أولاً كل شيء يراه للأكل قريباً كان أم بعيداً ثم يطلبه لاجل اللعب . يجهد أولاً لتحديد المسافات فيمد يده الى قمر السماء ويحاول القبض على الطيور في الهواء ثم يشعر من تكرار الخيبة بضعفه وعجزه فيطلب مثل هذا من أبيه أو أمه لأنه يعهد منها بالمعاملة في كل يوم تحصيل رغائبه التي يعجز عنها . ثم يتم تمييزه لهذه البديهيات وينتقل الى مبدأ طور الفكر والتعقل وادراك المصالح والمنافع في الجملة وهو طور بين الطفولية والرجولية . ولكن الولدان يكونون فيه أقرب الى ماضيهم من مستقبليهم فيؤثرون ما يرتاحون اليه ويلتذون به على ما فيه كلفة ومشقة . ان كانت المصلحة وسمن العاقبة في هذا دون ما قبله وينظرون الى أنفسهم وحدها دون من يعيشون معهم لانهم يتوهمون ان الانسان مكلف بنفسه دون غيره وانه يمكن له ان يكون سعيداً بين الاشقياء وناعماً بين ذوي

البأساء والضراء ولذلك كانوا في أشد الحاجة الى الهادين والمرشدين الذين يثقفونهم ويربونهم مستعينين عليهم بهدي الدين وحوادث الكون والوجود والا انقلوا الى طور الرجولية بحيوانيتهم دون انسانياتهم وباجسامهم دون ارواحهم وأحلامهم.

وبعد فان هذا العدد العظيم الذي يبلغ ثلاثمائة الف ألف أو يزيد الذي نسميه الامة الاسلامية قد أمسى بحالة من الضعف البصري والمعنوي والفقر المادي والادبي يستحي من ينتسب اليه من وصفها وشرحها وقصاري ما نقول فيه انه لا يسمى أمة الا بضرب من التجوز كما تسمى صورة الاسد المرسومة في الجدار أسدا فقد كان المسلمون وهم أقل الامم عددا وعددا أعز الامم وأقواها وأعلمها وأغناها ثم انقطع السلك فتناثر الحب وبطل اطلاق اسم العقد عليه الا اذا لوحظ ما كان دون ماهو كائن . ويظن الجاهلون انه لا رجاء في نظم العقد ثانية وانتظام شمل المسلمين ويعتقد الذين لا يقنطون من رحمة الله ولا يأسون من روحه انه لا بد ان ينجز لهذا الدين وعده (ليظهره على الدين كله) فيستمر ظهوره وغلبته الى آخر الزمان . وقد ورد في الخبر . ان أمة النبي صلى الله عليه وسلم كالمطر لا يدري أوله خير أم آخره بل ورد أيضا ان الخير فيه (عليه الصلاة والسلام) وفي أمته الى يوم القيامة . قد أتى الامة حين من الدهر والخير فيها يقل والشر ينمو حتى وصلت الى ماهي فيه اليوم واننا نرى الآن في جوها المظلم بالقتن برقا يومض بين النجوم المتكاثفة ويوشك ان يعم فيكون الظلام نورا . أو أقول كما قال حكيمنا (اني أرى في هذه الشجرة اليابسة (الامة الاسلامية) ورقات خضر ولا أدري هل هي من بقايا حياتها الاولى أم هي مبدأ حياة جديدة ؟) وأزيد

على هذا ترجيح الشق الثاني بدليل ان الورقات تزيد ولكنها عرضة للتصوِّح والسقوط بما يهب عليها من بوارح المحن وزعازع الفتن اذا لم تحط بالتربية الصحيحة ولذلك شبهت الطور الذي فيه الامة الآن بطور الطفولية ونهت الى شدة الحاجة الى المرين والمثقفين

أليس السواد الاعظم منا لا يهتمهم الا لذاتهم وحظوظهم الشخصية كما هو شأن الاطفال ؟ هل يفقهون معنى الامة ويعلمون ماهي المقومات التي تقوم بها والروابط التي تجمعها والامر الذي تؤمه وتقصده ؟ هل يتفكرون في الحياة الاجتماعية وما يمرض عليها ؟ كلا ان من يتجاوز فكره محيط شخصه فلا يعدو بيته وولده وهو في هذا لا يمتاز على الانعام . واذا ذكرهم مذكر أو نهبهم منبه يحارون وتضطرب افكارهم . ولا يكادون يفهمون الحقيقة وهم الآن على درجات فهمهم من لا يفكر في معنى الامة قط ومنهم من يرى البعيد قريبا كالطفل الذي يمد يده لتناول القمر كما جرى ويجري لبعض الحكام واصحاب السلطة كاسماعيل باشا واصحاب الفتنة العراقية . ومنهم من يرى نفسه عاجزا عن كل شيء ويرى الحاكم قادرا على كل شيء كما هو شأن الطفل الذي يطلب القمر او الطير في الهواء من امه او ابيه . ومنهم من يفكر في المصالح والمنافع التي تخص الامة ويعذل المقصرين وهو منهم ولكنه يفيض الطرف عن عيوبه وينظر الى عيوب الناس بالنظارة المعظمة واذا عمل فانما يعمل لشخصه واذا وقعت مصلحة الامة في طريقه داسها ومضى في سبيله كما هو شأن الولدان في اول طور الفكر والتعمق ومنهم الذين دعوا الى الاجتماع لاجل العمل فاجتمعوا فصاح بهم صاحب الفتنة فترقوا (ككتابة اجفلات غفلا من الغم) او كالصبيان يجتمعون للعب فينشق بهم ناعق فيتفرقون

أيدي سببا لانهم لم يربوا على الاجتماع ولا بقدرن الاعمال الاجتماعية قدرها. وليس عندهم شيء من اخلاق الرجال. كالصبر والثبات والاحتمال. نقول في الامة (المجازية) ماقلنا في شأن الاطفال انها في اشد الحاجة الى المرشدين والمرين الحكماء العارفين بالامراض الاجتماعية وأدويتها وطريق علاجها لتكون بهديهم امة « حقيقية » وقد يوجد فيها افراد منهم بشاركهم في عملهم اكثر منهم من المتصدرين الجاهلين يهدمون مايبنون ويفسدون ما يصلحون. (ويحسبون انهم على شيء إلا انهم هم الكاذبون) وقد صار هؤلاء الاطفال في احلامهم الرجال في اجسامهم في حيرة ونغم عليهم الامر باختلاف المرشدين ويميل الاكثرون الى من لا يكافهم عملا ولا يلبصق بهم عارا ولا زلا وسنين مشارات الحيرة ومناشي الغمة في مقالة اخرى ان شاء الله تعالى

باب التوسل والتعلم

﴿ أميل القرن التاسع عشر ﴾

(٢٠) من هيلانه الى اراسم في ٣١ يونيه سنة ١٨٥

اكتب اليك أيها العزيز اراسم قياما بما اخذته على نفسي من احاطتك علما بما أفعول وما أرى وما أسمع فأقول

اتفق لي منذ بضعة أسابيع ان كنت في بيت صديقك الدكتور فرأيت عنده رجلا من ايقوسيا وهو شيخ طويل نحيف علمت انه من أصدقاء ذلك البيت وانه غادر بلاده لاسباب مجهولة عندي ولكنه لا يستطيع المعيشة بعيداً عن منظر البحر والصخور والرمال قد نزل بكورنووي الى حين. يبدي هذا الرجل من التنطع والتشدد في آدابه وهيآت افعاله ما لو أبصرته الفرناويات لضحك عليه كثير ممن على ما أرى فانه اذا سئل يعمل بانتظام واذا دخلت عليه سيدة في قاغة الاستقبال وثب قائما كأنه